إعجـــاز الإيقـــاع الانتقائي في القـــراءات القرآنيـــة

د. محمد الأمين خلادي
جامعة ادرار

ملخص:
يعالج هذا المقال قضية الإيقاع الانتقائي في القراءات القرآنية، وذلك قصد الوقوف على الطابع الجمالي المميز للخطاب القرآني إذ أن طبيعة النظم، من خلال الفواصل القرآنية تجعله نصا يخلق أدبيته الخاصة.

Résumé :
Cet article traite de la sélection dans la lecture coranique dans le but de faire émerger la beauté qui caractérise le discours coranique.

قراءة في المصطلح: لا بأس من توطئة اصطلاحية تكشف لنا عن لفظ [الإيقاع] ودلالاته، إذ يقول ابن منظور« والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها »[1] ويقول الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم « ووقع الكلام في نفسه: أثر فيها »[2]، فالواضح من القولين أن الإيقاع صوت ينساب إلى ذهن العاقل فيثير استجابة معينة لديه، وهو لا يختلف عن النغم والتغني والتصويت المترنم إلا أنه معجز في قراءة النص القرآني الذي ثبتت قراءته بإيقاع مميّز عن أصوات النصوص الأخرى مذ نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، ولنا أن نستبين ذلك من دلالات التصويت بأول فعل في أول نص قرآني {اقرأ باسم ربك الذي خلق}[3]، « وعن أبي

[1] ــ لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي، ط:1968، دار صادر، بيروت، ج: 8، ص:406
[2] ــ معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية، محمد اسماعيل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص:583
[3] ــ سورة العلق، الآية:1

هريرة رضي الله عنه قال له: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به "ــ رواه البخاري ومسلم ــ، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " زينوا القرآن بأصواتكم " ــ رواه أبو داود والنسائي وغيرهما ــ »[1].

ليس بدعا إذاً أن يتغنى بالقرآن الكريم بعد أن تزين له الأصوات في قراءة لها من شروط القداسة والتلاوة والقواعد ما لها، وإذا كانت العرب أثلت لخطاباتها الكثير من قواعد الوزن والسجع وضبطت شروطا وجماليات للموازنة بين شريف القول وضعيفه؛ كقول الجرجاني في وساطته النقدية: « وإنما الكلام أصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الأبصار »[2] الذي أضحى مقياسا نقديا لتبرير انسجام النص ونظمه وأثره في الأسماع؛ فالأحق أن يولوا أكبر العناية إلى النص القرآني الذي يحمل في ثناياه انقلابات معجزة في بعض موازين النظم والكلم، وقد قال الرماني إن «الفائدة من الفواصل دلالتها على المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الآي بالنظائر»[3].

وما أورد الدكتور توفيق الزيدي هذين القولين إلا ليبين ما للإيقاع من تلاحم وثيق مع النص الأدبي في جميع مناحيه؛ فوصفه بأنه « طاقة تهم فنون القول عامة، وهي ذات وظيفة مزدوجة أولاها وصل مكونات النص بعضها ببعض وثانيتها التأثير في المتلقي »[4]، وهذا كسب يحسب لأدبية تلك النصوص الفنية على اختلافها وتناوعها، إلا أنها تظل تالية لأدبية إعجازية ظفر بها النظام ألفاصلي في النص القرآني « ومن

---

[1] ــ *المعجزة القرآنية، بلقاسم بغدادي، د، م، ج، الجزائر، ص:308*

[2] ــ *الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، نقلا عن: توفيق الزيدي، مفهوم الأدبية في التراث النقدي، ط: 1985، سيراس للنشر، تونس، ص:139*

[3] ــ *النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن الرماني، نقلا عن: توفيق الزيدي، مرجع سابق، ص:142*

[4] ــ *مفهوم الأدبية، توفيق الزيدي، ص:139*

هنا فالفواصل غير متكلفة وإنما هي تابعة للمعنى فهي تبرزه من جهة وتحدث إيقاعا من جهة أخرى »[1].

قال الله تعالى في محكم تنزيله: { ولقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مذكر}[2]، وذاك معناه «سهلناه وقربناه »[3] للقارىء المتدبّر المدّكر، وكم تكرر هذا الخطاب القرائي الملحّ في سورة القمر؛ إذ لو أحصيته لوجدته قد ذُكر أربع مرات دالاّ في سياقه على ما للادكار من وزن معجز وما للقارئ المذكر من عظيم الشأو...! ولذلك كان « من الحقائق المقررة أن الحياة العلمية العربية نشأت وتطورت في ظل القرآن الكريم، ذلك أن المسلمين لم يروا في قرآنهم كتابا يتلى في الصلوات أو يرتل في المناسبات، ولكنهم آمنوا به كتابا ينظم حياتهم كلها بحيث ينبغي أن تتسق هذه الحياة مع ما جاء به القرآن الكريم ومن هذه الحقيقة الكبرى في حياة المسلمين كانت حركتهم نحو "العلم" في سبيل "فهم" النص الكريم والوصول إلى ما يحتويه من أحكام. وهذه الحقيقة توضح تطور الحياة العلمية العربية، لأن ارتباط المسلمين بالنص القرآني جعلهم يبدءون بما هو عملي قبل أن يصلوا إلى وضع "منهج نظري" لكل فرع من فروع البحث الفني ارتادوها آنذاك، فكانت قراءة القرآن عن طريق "التلقي والعرض" أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات...»[4]؛ وهذا من إعجاز القرآن الكريم إذ هو المنطلق الشرعي الموصول بالله تعالى؛ فبه سلم المسلمون في تأثيراتهم العلمية، خاصة وأنهم تواتروا النص القرآني عن النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[1] ــ نفسه، ص: 142

[2] ــ سورة القمر، الآية: 17

[3] ــ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، تح: د ــ عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985 .ج: 4، ص: 322

[4] ــ فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، ص: 33

ولما توطنت تلك الطريقة العلمية في ممارساتهم اليومية لقراءة القرآن العظيم شاء الله تعالى لكتابه العزيز أن يأخذ في الانتشار والاتساع، وصار دخول الناس في دين الله أفواجا أمرا محوجا لبداية التجذر العلمي النظري؛ فانبرى أئمة اللغة والبيان يقعّدون قواعد القراءات القرآنية « حتى صارت علما قائما برأسه، له رجال متخصصون فيه، هم علماء القراءات، وله أسانيد تصل بالقراءة إلى صاحبها الذي قرأ بها، ومن ثم إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأن المقرئ يروي قراءته مشافهة بالتلقي عن أهلها إلى أن يبلغ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمشافهة شرط لا بد منه...

اتفق علماء القراءات على أن القراءة المقبولة التي لا يحل جحدها هي كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها وثبتت بطريق التواتر»[1].

ونستنتج مما سبق أن القراءات علم دقيق شريف، ولا أدل على ذلك من تلك الشروط التي لا تحق إلا بها؛ وعليه فإن « الذي تواترت فيه الشروط الثلاثة المذكورة هو القراءات العشر وهو رأي الجمهور»[2].

القراءات العشر وإعجاز التلقي: سنوجز ههنا أسماء القراء العشر، فهم السبعة الذين حقّقهم ابن مجاهد وهم« (عبد الله بن كثير الداري/ عبد الله بن عامر/عاصم بن أبي النجود/ أبو عمرو زيان بن العلاء البصري/ حمزة بن حبيب الزيات الكوفي/ نافع بن عبد الرحمن المدني/ أبو حمزة الكسائي)، كما أن هناك قراءات ثلاث تصل بالقراءات المتواترة إلى عشر وهي للأئمة: (أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني/ يعقوب بن إسحاق الحضرمي الكوفي/خلف بن هاشم)» [3]

[1، 2، 3، 4، 5] *التوجيه النحوي للقراءات القرآنية (في سورة البقرة)، الطاهر قطبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، المقدمة*

انقطع هؤلاء لخدمة القرآن الكريم انقطاعا علميا قائما على موضوعية تستمد أصولها من الإعجاز نفسه « فأخذوا أنفسهم بكثير من الحيطة والشروط القاسية التي هيأت للقراءة المحققة أن تكون موضع اطمئنان لدى عامة الناس. وهذا الاجتهاد الزائد، والتقصي الدقيق هما اللذان ساعدا على حفظ هذه القراءات واعتمادها نصا قرآنيا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» [1] .

ولعل هذه الإنجازات العلمية الباهرة المؤسسة على منطق فريد كانت موضع إثارة حقد الحاقدين الذين حاولوا زعزعته، لأنهم تبينوا فيه الحجة الدامغة على صلاح هذا الكتاب العزيز للبشرية جمعاء، ولأنهم تأكدوا من انعدام وجود نص قدسي محفوظ كهذا الذي يقبل عليه القراء إقبالا مميزا يربطهم بخالقهم تعالى ربطا مباشرا، وبقراءات متعددة صحيحة قد اتفق عليها الجمهور ومن أجل هذا يقول الأستاذ الطاهر قطبي:« أحب أن أنبه إلى أن موضوع القراءات كان ولا يزال موضع تشكيك وتشبيه من كثير من المستشرقين الذين يذهبون لتفسير ظاهرة القراءات كل مذهب، ونهيب بعلمائنا المتخصصين في الموضوع لتحذير القراء من المزالق وبيان مواضع الدس، فضلا عن الرد عليهم، ومحاججتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن »[2].

ولن تنكشف مواضع الدسّ والتلفيق حول هذا البيان المعجز مالم يقرأ أهل هذا الكتاب المحفوظ معالم الإعجاز وأسراره قراءة مستثورة ــ لا تختلف عن القراءة في الصلاة خشوعا ــ للمكنون، منزّهة للقداسة القرآنية، مخلصة النية في ذلك كله... ثم ألم يأن «لنا أن نباشر من جديد مهمة التأصيل في مضمار القراءة، بتأسيس فقه خطاب قرآني، لا يحتكر الوصاية على الفحوى السماوي، ولكن يعطيه ذاك الامتداد

الدلالي الباهر الذي توحي به مفاهيم القراءات، والقراء، والسبعة أحرف التي تولد في كنفها الاجتهاد التأويلي في تراثنا »[1]

والقراءات تعم النص القرآني كله وهي من إعجازه الأقدس الذي نلفيه يأخذ منحى فنيا فريدا في القصة القرآنية؛ ذلك أنها تستقل بالتصوير الفني المعجز في أجمل أشكاله وأبهى حلله، كما أنها القصة الوحيدة الظافرة بإعجاز القراءات القرآنية؛ القراءات الموافقة «لرسم المصحف العثماني بحيث لا تصح القراءة التي تغاير الرسم المذكور »[2]، وما كانت لتكون تلك القراءات لولا ضرورة اليسورة الذكرية، فالقراءات بذلك الشكل تخدم قارئ القرآن الكريم كما تخدمه وهو يقرأ القصة القرآنية؛ لأنها قراءات مشروعة صحيحة سيكون تعدّدها فنية معجزة في المعمار اللغوي السردي يجعل القصة القرآنية تؤتي ثمارها أكثر، فالقصة القرآنية تجلب القارئ وتأسر لبّه وتوسّع رقعة التصوير الفني لديه؛ إذ يغدو مخياله متصورا الحدث بصورة معينة بقراءة ما، في حين سيتصوره بصورة أخرى ضمن قراءة ثانية ويظل المعنى واحدا راسخا فلا تخل أي القراءتين من طبيعة الحدث ما دامتا من القراءات المشهورة غير الشاذة! إذ « كانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف مؤونة شديدة، فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعان متفقة ومختلفة، ليقرأ كل قوم على لغتهم، وعلى ما يسهل عليهم من لغى غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم، فقوم جرت عادتهم بالهمز، وقوم بالتخفيف وقوم بالفتح، وقوم بالإمالة، وكذلك الإعراب واختلافه في لغاتهم، والحركات واختلافها في لغاتهم، وغير ذلك» [3].

---

[1] ــ قراءة القراءة. الخطاب القرآني ... و أدبية القراءة و التلقي، د ــ سليمان عشراتي، مجلة: "تجليات الحداثة "، جامعة وهران، ع: 4 يوليو 1996 م، ص: 178

[2] ــ دراسات في علوم القرآن، د ــ أمير عبد العزيز، دار الشهاب، ط:2، 1988 م، ص:99

[3] ــ الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب، ص:7، نقلا عن: د ــ عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، ص:147

المذكّر وإعجاز تعدّد القراءات القرآنية: إن التعدد المعجز[1] للقراءات القرآنية المشهورة يكسب النص القرآني آفاقا شتى تؤكد صلاحه للعالمين وقدرته المطلقة على نفاذه في العقول والقلوب وتوافقه مع الفطرة البشرية، كما أن حصر العلماء لعدد القراءات زيادة ضبط علمي مقنن وتقرير لسلامة هذا التعدد، ثم « إن الاختلاف الحاصل في قراءات القرآن كما يقول ابن الجزري، هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى، قال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) سورة النساء الآية : 82 »[2].

وتبيانا لما تضفيه القراءات القرآنية المشهورة من إعجاز فني يظهر على المشهد القصصي؛ سنعتمد على قراءتين مشهورتين هما: قراءة الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني[3] وقراءة الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي[4]، وتانكم قراءتان كافيتان للاستدلال على وجوه عدة للإعجاز الفني، حيث سنبيّن من خلالهما مواطن التعدد المعجز [الاختلاف] الواردة في سورة يوسف عليه السلام وفي الوقت ذاته نبرز أثر ذلك على التصوير الفني للحدث من خلال ادّكار المتلقي، ذلك الأثر الذي يتجلى في تعدد الصورة الحديثة مع سلامة المعنى ووحدته.

ويتضح لنا ذلك التعدد في النصوص السبع التالية:

1 ــ النص: قال تعالى:{ قال إني ليحزنى أن تذهبوا به وأخاف أن ياكله الذيب وأنتم عنه غفلون. قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة انآ إذا لخسرون. فلما ذهبوا به

---

[1] ــ نسميه تعددا معجزا قياسا بالقراءة القرآنية المشهورة، حيث التعدد مشروط بالمعجزة، فليس يعني اختلاف أو تعدد التناقض.

[2] ــ لغة القرآن الكريم، د ــ عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، ط:1 / 1981، ص:113

[3] ــ أخذت هذه القراءة من المصحف الشريف المضبوط على ما يوافق رواية أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1991 م.

[4] ــ أخذت تلك القراءة من المصحف الشريف المضبوط على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، 1970، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، مصر.

وأجمعوا أن يجعلوه في غيبت الجب وأوحينآ إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون. وجآءوا أباهم عشآء يبكون. قالوا يأبانآ إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متعنا فأكله الذيب ومآأنت بمومن لنا ولو كنا صدقين.}[1].

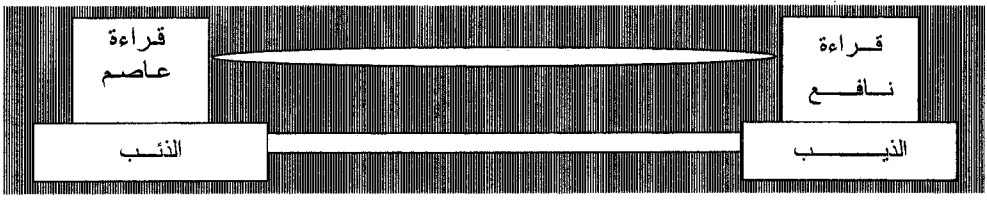

يقول العكبري :« الأصل في الذئب الهمز... ويقرأ بالياء على التخفيف »[2]، ويقول الفيروزابآدي: « ... ويترك همزه»[3]، ويقول الزمخشري:« وقرئ الذئب بالهمزة على الأصل وبالتخفيف»[4]؛ ومنه نلحظ أن نافعا ينزع إلى التخفيف في حين يتشبث عاصم بالأصل، ولا ضير في العلتين جميعا إذ ظل المعنى واحدا صحيحا، ويكون النص القرآني قد حظي بالإعجاز في تعدد القراءات التي مآلها واحد في المعنى، ودليل ذلك أن القارىء سيحافظ على المعنى نفسه سواء أقرأ بالأولى أم بالثانية.

وعن النبر بالهمزة وتسهيلها، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: « من الحقائق العامة المشهورة عن النطق العربي أن الهمز كان خاصة من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، تميم وما جاورها وأن عدم الهمز خاصة حضرية، امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيها »[5].

---

[1] ــ سورة يوسف، الآيات: 13 -17

[2] ــ إملاء ما من به الرحمن من وجود الإعراب و القراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ج:2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:50

[3] ــ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، (د.ت) ج:1، ص:69

[4] ــ الكشاف، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج :2 ، ص :245

[5] ــ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د ــ عبد الصبور شاهين، ص:30، نقلا عن: د ــ عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، ص:140

فدلالة الذئب واحدة، وإن كنا نرى أن التصوير الفني سيتعدد أيضا؛ فقراءة [الذيب] توحي من وراء الصوت المخفف ــ بعد حذف الهمزة وتعويضها بياء تمدد الذال في إيقاع خاص ــ بخوف يعقوب عليه السلام من وجود الذيب المتكاثر في البادية، أما قراءة [الذئب] بالهمز الساكن توحي بوجود الذئب كجنس حيواني معين.

2 ــ النص: قال تعالى: { وجآءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يبشراي هذا غلم وأسروه بضعة والله عليم بما يعملون .} [1]

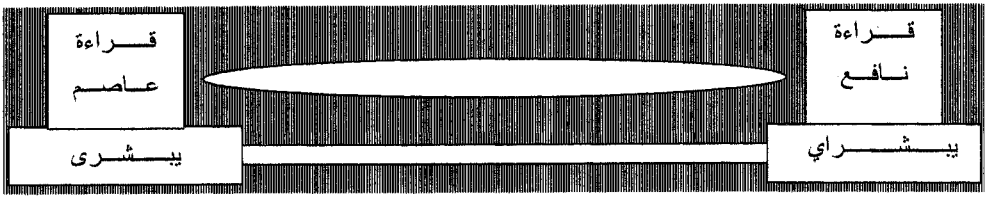

يقول العكبري :« يقرأ بياء مفتوحة بعد الألف مثل عصاي، وإنما فتحت الياء من أجل الألف ويقرأ بغير ياء »[2]، فالوارد الذي أدلى دلوه ليلتقط يوسف عليه السلام من الجب وينادي [يابشراي] قد نسب البشرى إلى نفسه عن طريق ضمير المتكلم [الياء]، وهذا معناه أنه اغتبط بهذا الغلام الذي سيكون بعد حين رقيقا أو بضاعة تباع لتعود عليه بربح معين، وأما إن قرىء [يابشرى] فهو نداء لا ينسب البشرى إلى الوارد وحده إنما قد تكون البشرى للسيارة كلهم والمعنى بذلك واحد؛ فيوسف عليه السلام محط البشرى للوارد وللسيارة جمعا؛ فاستبشار الجزء عم الكل لأنهم أسرّوه وشروه جميعا.

---

[1] ــ *سورة يوسف، الآية:19*

[2] ــ *إملاء ما من به الرحمن، العكبري، ج:2، ص:50*

3 ــ النص: قال تعالى: { وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون}[1] .

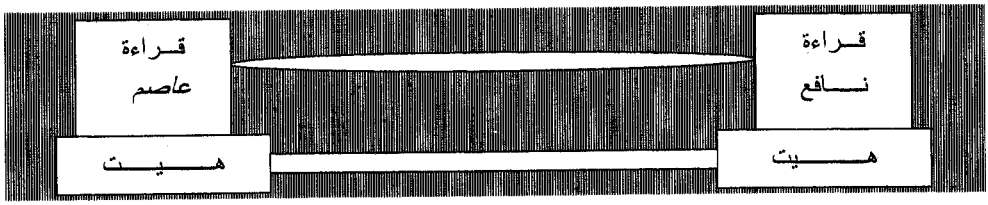

يقول العكبري :« "هيت لك" فيه قراءات: إحداهما فتح الهاء والتاء وياء بينهما... والكلمة اسم للفعل فمنهم من يقول: هو خبر معناه تهيأت، وبني كما بني شتان، ومنهم من يقول: هو اسم للأمر: أي أقبل وهلم... والسادسة بكسر الهاء وسكون الهمزة وفتح التاء، والأشبه أن تكون الهمزة بدلا من الياء أو أن تكون لغة في الكلمة التي هي اسم للفعل »[2]، كل ما هنالك أن الله تعالى أسند هذه اللفظة للمرأة المراودة إذ قال تعالى: {و قالت هيت لك} فبأي القراءتين قرئ سيعلم مصدر الخطاب الذي يتضمن مناداة المرأة ليوسف ولعل من إعجازه تعالى أن لفظ [هيت] لم يأت معهودا كفعل [هلم/أقبل...] إنما جاء بهذا الشكل اللغوي المعجز الذي تعددت قراءته كما تعدد تأويله ليبرهن الخطاب السردي على أن لفظ [هيت] صوت اختصت به "قرآنية السرد" وكأنها توحي بأن ذلك الصوت ينادي عن أمر منكر منبوذ أرادته المرأة من يوسف عليه السلام، ومعنى اللفظ يظل ثابتا مهما تعددت القراءة لأن أساس الدلالة ثابت وهو أن لفظ [هيت] ناجم عن المرأة، ولذلك رد يوسف عليه السلام بعبارة صريحة في قوله تعالى {قال معاذ الله}.

---

[1] ــ *سورة يوسف، الآية: 23*

[2] ــ *إملاء ما من به الرحمن، العكبري، ج: 2، ص: 51*

4 ــ النص: قال تعالى: { قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون.}[1].

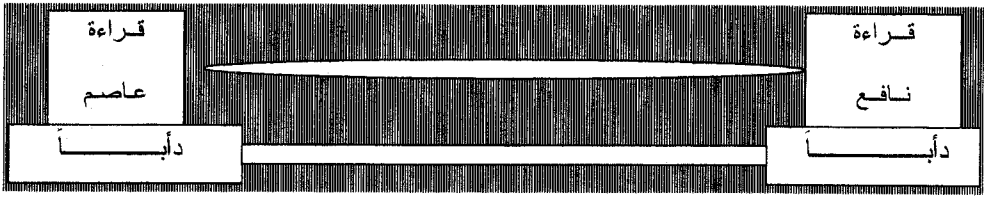

يقول العكبري :« "دأبا" منصوب على المصدر : أي تدأبون، ودل عليه، ويقرأ بإسكان الهمزة وفتحها، والفعل منه دأب دأبا ودئب دأبا »[2]، أي جد وكدح وواصل وكذا« دأب في عمله دأبا: جد فيه وداوم عليه، والدأب العادة والشأن والحال، ودائب: مستمر، ودأبا: على العادة الدائمة والمتبعة باستمرار»[3]، وبهذا فالاستمرارية عالقة بتتالي السنوات السبع الخصبة، وعبّر عنها [دأبا] بتسكين الهمزة وفتحها [في القراءتين] حتى يتنبّه القارئ إلى ما للحرف من إعجاز وهو – ههنا – الهمزة التي قد تذكر وتحذف كما رأينا في لفظ [الذيب].

ولعل التصوير اللغوي في تسكين الهمزة يوحي بالاستمرار الزمني من حيث طوله؛ إذ إن القوم لم يعهدوا ذلك في عاداتهم وشؤون زراعتهم وطرائقها، فهو طارئ هز رتابتهم المألوفة، في حين أنه يوحي بالاستمرار الزمني الترتيبي المتتابع من جهة أخرى، ونستشف ذلك من تتالي حركات الفتح [دَأَبَاً]؛ فهو ترتيب وتلاحق لسنوات الخصب غير المألوف قياسا بما سيلحقه من سنوات الجدب.

---

[1] ــ *سورة يوسف، الآية: 47*

[2] ــ *إملاء ما من به الرحمن، العكبري، ج: 2، ص: 54*

[3] ــ *معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، ص: 168*

5 ــ النص: قال تعالى: { وقال لفتيته اجعلوا بضعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون.}[1] .

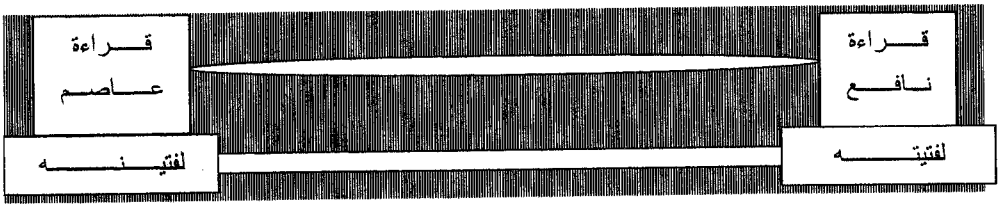

يقول العكبري: « يقرأ بالتاء على فعلة، وهو جمع قلة مثل صبية، وبالنون مثل غلمان، وهو من جمع الكثرة »[2].

لا شك أن الجمع واقع في القراءتين وذاك الأصل، أي إن يوسف عليه السلام كلف مجموعة من الغلمان ليجعلوا البضاعة في رحال الإخوة، وإذا أردنا أن نعلل لصحة الصيغتين قلنا: إن صيغة [الفتية] قد تدل على أن يوسف أمر مجموعة معينة من الفتيان لأن الأمر يحتاج إلى خصوصية معينة وهي الفطنة والذكاء مع الكياسة والحذق والحفاظ على سرية الأمر لأنهم أمروا بدس البضاعة في رحال القوم، وهذا أمر شاذ يختلف عن عادة الاكتيال والتجهيز ومراسيمه لذلك احتاج إلى مجموعة خبيرة بالأمر حسب الهدف الذي يبتغيه، أما صيغة [الفتيان] فتوحي بما أحرزه يوسف من سطوة حكيمة فكان آمرا ناهيا يملك نواصي الكثير من الفتيان فيأمرهم ويديرهم كيفما يشاء و هم له طائعون !.

6ــ النص: قال تعالى: {قال هل ــ أمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين.}[3].

---

[1] ــ سورة يوسف، الآية: 62

[2] ــ إملاء ما من به الرحمن، العكبري، ج: 2، ص: 55

[3] ــ سورة يوسف، الآية: 64

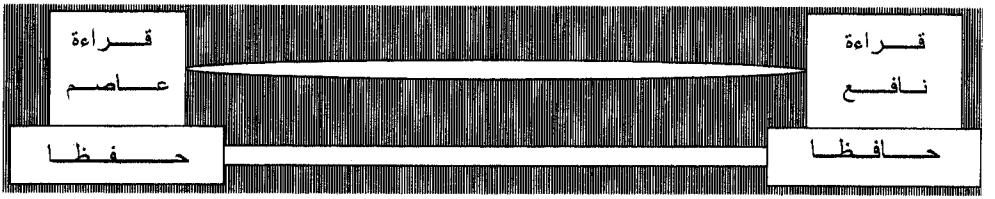

يقول العكبري :« "خير حافظا" يقرأ بالألف ...ويقرأ "حفظا "»[1] .

قال تعالى: {فالله خير حفظا} إذ مصدر الحفظ هنا هو الله تعالى الذي لاذ به يعقوب عليه السلام حينما سأله أبناؤه أن يأخذوا معهم أخاهم للاكتيال وهم يقولون: {فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحفظون} وقد قالوا من قبل لما أرادوا ليوسف كيدا: {أرسله معنا غدا يرتع و يلعب وإنا له لحفظون}، فكان أن تيقن يعقوب من أن الحفظ لا يكون إلا من الله تعالى فقال:{ فالله خير حفظا} هذه الخيرية المطلقة هي التي تتفق والمصدر في لفظ [الحفظ] كما تتفق مع اسم الفاعل [حافظا]؛ فالقارىء [حفظا] سيؤمن أن الله هو مصدر الحفظ الأصل فلا الإخوة حفظوا يوسف وأخاه ولا يعقوب يحفظهما مهما جد أوتحرى الأبناء، كما سيؤمن قارىء [حافظا] أن الله تعالى هو الفاعل المطلق للحفظ فلا ينازعه فاعل آخر، والقراءتان تؤكدان إعجاز لفظ الجلالة [الله] الذي تنسب إليه بقية أسماء الله الحسنى ومنها [الله الحافظ] ولفظ الحافظ ــ أصلا ــ مشتق من الحفظ، كما تتضح المعجزة اللغوية لذلك في قوله تعالى ــ المعقب للفظي [حفظا] و[حافظا] ــ {وهو أرحم الراحمين}، إذ نستنتج دلالات أسماء الله الحسنى المشتقة من الرحمة التي هي صنو الحفظ.

[1] ــ *إملاء ما من به الرحمن، العكبري، ج:2، ص:55*

7 ــ النص: قال تعالى: { فبدأ بأوعيتهم قبل وعآء أخيه ثم استخرجها من وعآء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ أخاه فى دين الملك إلآ أن يشآء الله نرفع درجات من نشآء وفوق كل ذى علم عليم.}[1].

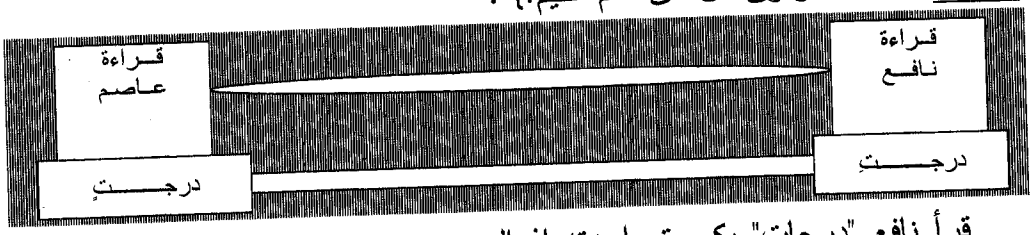

قرأ نافع "درجاتٍ" بكسرة واحدة؛ إذ المعنى هو رفع الدرجات نفسها وترقيتها لمن نشاء، أي الأنبياء والرسل كيوسف عليه السلام، في حين لو قرأنا "درجاتٍ" بالتنوين كسرا كما هي عند عاصم لكان المرفوع هو الأنبياء أنفسهم وترقيتهم أعلى الدرجات «والذي دل على هذا الفهم للمعاني المتعاقبة للآية هو حركة الإعراب، ومعنى هذا التبدل أن السياق عرف تحولا في المعنى بين قراءة وأخرى. فكانت الحركات الإعرابية قرينة لفظية. لكن لطف الفهم للمعاني هو الذي جعل سياق الآية لا يختلف في معناه العام من قراءة إلى قراءة »[2]، ويكون الهدف من الآية واحدا رغم تعدد القراءة، وهو تفضيل من جدوا وابتلوا في الله بلاء حسنا، وجاء الرفع في سياق تعقيبي ليشير إلى ما تحمّله يوسف عليه السلام وأخوه وكذا أبوهما يعقوب عليه السلام من شدائد المحن المتلاحقة فوفاهم الله خير الجزاء لما صبروا واحتسبوا!.

فمن أشرف الأدلة وأشرقها أن القراءات تخدم القارىء المدكر وتسوغ له المعنى الصحيح رغم تعددها لأنه يملك "مفاتيح الخير" الفني فيتمثل المعنى في ضوء تلك القراءة بما تحدده من صياغة معينة تؤول إلى دلالة سليمة، ولهذا يورد الأستاذ الرافعي رواية تثبت إعجاز "التعدد ألقراءاتي" فقال:«روي عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه

---

[1] ــ *سورة يوسف، الآية: 76*

[2] ــ *التوجيه النحوي للقراءات القرآنية، الطاهر قطبي، ص: 52*

وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك، فكدت أساوره في الصلاة فصبرت حتى سلم، فلما سلم لببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها، فقال : هكذا نزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : هكذا نزلت، ثم قال: إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منها»[1].

نستنتج من قول الأستاذ الرافعي ما يلي:

1 ــ إن القراءة التي سمعها عمر رضي الله عنه تثبت أن القراءات مؤسسة فعليا مذ عهد النزول.

2 ــ سماع عمر رضي الله عنه للقراءة داخل الصلاة دلالة على أن القراءة تؤثر في السامع خشوعا وتدبرا، ولولا ذلك ما تفطن عمر لتلك القراءة التي تغاير القراءةُ التي قرأها على رسول الله.

3 ــ محاورة عمر هشاما رضي الله عنهما بقوة وشدة مساورةٍ برهان على الإحساس بجلالة القرآن الكريم وأثره في تربية النفوس المؤمنة وحرصها على قرآنها وعزة السبق إلى فعل الصالحات.

4 ــ تصريح هشام ينبئ عن رده أصل القراءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يلتقي وعمر في ذلك، فانطلقا حتى إذا لقيا نبي الله، فبادره عمر رضي الله عنه

---

[1] ــ *إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر، ص:48 ،49*

بالاستفسار عن شأن تلك القراءة، ثم حكم بينهما بنبوة حكيمة؛ إذ طلب أن يقرأ السورة كل منهما على حدة في ترتيب عدل كما وردت عنهما في الأصل، فبدأ بهشام وثنّى بعمر وكان يقول لكل منهما "هكذا نزلت" ليبرهن على صحة وسلامة القراءتين معا.

5 ــ توحي لنا هذه الحادثة باطمئنان كل من الصحابيين الجليلين للقراءة التي يفقهها ما دامت قد صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

6 ــ التشريع النبوي السابق يؤكد أن القراءات القرآنية جاءت لتلبي رغبة القارئ قياسا بطوقه اللغوي ومكْنته من وجوه "القراءات" التي يسكن إليها، ففي كل خير.

7 ــ هذا النموذج يطلعنا على قراءة هشام وعمر لسورة الفرقان وهو تمثيل يعمم على جميع القرآن الكريم، كذاك الذي عايناه في قراءتي نافع وعاصم للنص "اليوسفي"، وهي معاينة تؤكد بسورة الذكر الحكيم وهو يرفق بالقارئ ويوسع تصويره للمعنى تعددا صحيحا، وذاك إعجاز القراءات ...!

المراجع:

أ- القرآن الكريم:

ب- المصادر:

1- إملاء ما من به الرحمن من وجود الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ج:2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

2- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، تح: د ــ عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985 ج:4

3- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، (د.ت) ج:1

4- الكشاف، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج :2

5- لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي، ط:1968، دار صادر، بيروت، ج:8

6- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد اسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر

جـ- المراجع:

1- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر

2- التوجيه النحوي للقراءات القرآنية (في سورة البقرة)، الطاهر قطبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، المقدمة

3- دراسات في علوم القرآن، د ــ أمير عبد العزيز، دار الشهاب، ط:2، 1988 م

4- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، (د.ت)

5-لغة القرآن الكريم، د ـــ عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، ط:1 / 1981

6-المعجزة القرآنية، بلقاسم بغدادي، د، م، ج، الجزائر

7-مفهوم الأدبية في التراث النقدي، سيراش للنشر، تونس، ط:1985

د- المجلات:

مجلة: "تجليات الحداثة "، جامعة وهران، ع: 4 يوليو 1996 م

السيرة العلمية

الاسم واللقب: محمد الأمين خلادي

تاريخ الميلاد ومكانه: 06 ماي1967، بشار، الجزائر.

الرتبة: أستاذ مساعد مكلف بالدروس.

الاختصاص: البلاغة و النقد الأدبي.

العناوين: ص.ب 206/ 1954 أول نوفمبر ولاية أدرار/ ص.ب87، المدينة الجديدة سيدي الحاج محمد بلكبير أدرار

الخلوي: (213).68.31.87.40/(213).75.11.86.93

الهاتف: (213).49.95.20.48

الهاتف/ فاكس: (213).49.96.53.63

(213).49.96.48.85

(213).49.96.01.42

العنوان الإلكتروني: amine_proof@yahoo.fr

mohammedelaminek@maktoob.com

حاصل على شهادة البكالوريا في الأدب العربي1987/ حاصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية وأدبها 1991

حاصل على شهادة الماجستير في النقد الأدبي 2000 / حاصل على دكتوراه في النقد الحديث2007

مؤطر العملية التكوينية للمعلمين والأساتذة 1997 – 2000

أستاذ اللغة العربية بالثانوية 1991 – 2000.

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي/ تحليل الخطاب/ المنهجية/ الأدب الجزائري، بالجامعة 2001-2007.

نائب رئيس قسم اللغة العربية ورئيس اللجنة البيداغوجية 2002- 2007/ رئيس اللجنة العلمية للقسم 2002-2003.

عضو اللجنة العلمية للقسم 2002-2007، ممثل أساتذة قسم اللغة في المجلس

العلمي لكلية الآداب 2002-2006.

عضو المجلس العلمي لكلية الآداب 2002-2006 / عضو وحدة البحث في تحقيق المخطوط اللغوي للعلامة ابن مجراد.

رئيس وحدة البحث في سمات التقليد والتجديد في الأدب الجزائري قديما وحديثا.

عضو في وحدة البحث الأكاديمي، قسم اللغة العربية وأدبها/ عضو في مؤسسة مفدي زكريا / عضو بالمجلس العلمي لمتحف المجاهد/ نائب الأمين العام لجمعية حماية مآثر الثورة سيدي سليمان بن علي.

مشارك في الملتقيات الدولية داخل الجزائر: 2001/ 2002/ 2005/ 2007(أربع ملتقيات).

مشارك في الملتقى الدولي (ثقافة الصورة)، بجامعة فيلاديلفيا، الأردن، 2007

مشارك في الملتقيات الوطنية:2001/ 2002/ 2002/ 2003/ 2004/ 2004/ 2005/ 2006/ 2007/2007(12ملتقى).

مشارك في يوم دراسي للمصطلح العربي الانجليزي 2007/ مشارك في يوم دراسي للسانيات 2007.

نشر أربع مقالات في مجلات جامعية محكّمة (المعيار: عددان)، (الحقيقة: عددان)/ نشر مقالتين في جريدة البصائر.

.الإشراف على مذكرات التخرج ليسانس (ثمانية عناوين)، و مناقشة أخرى (خمس و عشرون عنوانا).

أعمال قيد النشر: من جماليات الإعجاز الفني في الخطاب القرآني (دراسة). / دموع اليراع (خواطر)، من ألواح أمتي (مقالات).

تقبّلوا أساتذتي الكرام فائق الشكران و أسمى آيات الحرمة و التقدير.

د. محمد الأمين خلادي